صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف المطبوعات: ISSN 2959-9423

السنة الثانية 20
تشرين الأول 24

العدد 6

■ مفاعيل القرار (1701) وأثره في ترسيم حدود لبنان البرّيّة الجنوبية / حسن علي بشروش
■ الأساس القانوني الدولي لجريمة تجنيد الأطفال / جالا الخير
■ قواعد صيانة المال العام نتيجة خطأ موظّفي الإدارة (التّضمين) / أبرار جاسم محمّد
■ الحوكمة الإلكترونيّة وأثرها في الإصلاح الإداريّ / أسعد قاسم مجيد
■ مفاهيم الثقافة والهويّة والأجيال في المهجر / حسام علي نعيم
■ الضّمانات اللاحقة على فرض العقوبة الانضباطيّة / أحمد باسم مجيد
■ السُنن الإلهيّة وأهميتها في استشراف المستقبل / زينب محمد فهدا

المحتويات

11	افتتاحية العدد	رئيس التحرير
15	مفاعيل القرار (1701) وأثره في ترسيم حدود لبنان البرّيّة الجنوبية	حسن علي بشروش
42	الأساس القانوني الدولي لجريمة تجنيد الأطفال	جالا الخير
69	قواعد صيانة المال العام نتيجة خطأ موظّفي الإدارة (التّضمين)	أبرار جاسم محمّد
87	الحوكمة الإلكترونيّة وأثرها في الإصلاح الإداريّ	أسعد قاسم مجيد
113	الخروقات الإسرائيليّة لحدود لبنان الجنوبيّة والتّحفّظات اللّبنانيّة عليها	حسن علي بشروش
145	مفاهيم الثقافة والهويّة والأجيال في المهجر	حسام علي نعيم
170	الضّمانات اللاحقة على فرض العقوبة الانضباطيّة	أحمد باسم مجيد
190	السُّنن الإلهيّة وأهميتها في استشراف المستقبل	زينب محمد فهدا
209	الشيخ محمد فاروق نجا سيرته، منهجه، وآثاره العِلمية	عبدالله سمير دنون
227	أركان جريمة تجنيد الأطفال في النزاعات المسلّحة	جالا الخير
260	مقوّمات الإصلاح الإداريّ في العراق	أسعد قاسم مجيد
294	الطّبيعة القانونيّة للمال العام	أبرار جاسم محمّد
313	المركز القانونيّ للموظّف العام وعلاقته بالإدارة	أحمد باسم مجيد

مفاهيم الثقافة والهويّة والأجيال في المهجر

Concepts de Culture, d'Identité et de Générations dans la Diaspor

حسام علي نعيم[1]

ملخّص البحث

من المعروف، أنّ لكل مجتمع هويّته الثقافيّة والاجتماعيّة التي تتمظهر بسلوك أفراده وتتحوّل عبر الزمن إلى عادات وتقاليد تحكم حياته. وبما أن الاغتراب اللبناني له دوافع وغايات مختلفة، حسب الميول والعوامل والفرص، فإن الانتشار اللبناني يتميّز بالتنوّع، وبِغِنى المظاهر الاجتماعيّة الجديرة بالدراسة.

وبسبب هذا الانتشار والتداخل مع الثقافات الأخرى في دول المهجر، كانت الحاجة لتناول تأثير ثقافة هذه المجتمعات في البنى الثقافيّة للأجيال اللبنانيّة المسلمة الناشئة فيها، وبالتالي محاولة تحديد معالم الهويّة الثقافيّة الجديدة المكتسبة في دول المهجر، لا سيّما لفئة الشباب أو الأجيال الناشئة في الخارج.

وبما أن الاغتراب اللبناني واسع جدًا، كان لا بدّ من التحديد الجغرافي، لأن التأثير الثقافي غير محصور بمجال محدّد، وليس بنفس المستوى والتفاعل في كلّ مكان، لذا جاء اختيار دراسته في الدول الأوروبيّة بالخصوص، حيث التأثير الأكبر على معالم الثقافة الشرقيّة والإسلاميّة، وتُبرز أكثر حالة الصراع والمقاومة مع ثقافة تلك البلاد.

وبناءً على ما تقدّم، وبسبب الحاجة لتناول مفاهيم تتعلّق بالثقافة والهويّة والأجيال، ولأجل التداخل الكبير في مقاصد هذه المفاهيم بين علماء الاجتماع والدين، وبسبب تداخل نطاقها المفهومي، بات من الضروري تناول هذه المفاهيم بشيء من التفصيل للوقوف عند محدّدات كلّ منها.

(1) طالب في مرحلة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية – لبنان.

كلمـات مفتاحية: الثقافـة، الهويّة الثقافيّـة، الأجيال، الاغـتراب، الاندماج، التماهي.

Résumé de la recherche

On sait que chaque société a sa propre identité culturelle et sociale, qui se manifeste dans le comportement de ses membres et se transforme au fil du temps en coutumes et traditions qui régissent sa vie. Puisque la diaspora libanaise a des motivations et des objectifs différents, selon ses inclinations, Facteurs et opportunités, la diaspora libanaise se caractérise par sa diversité et est riche en manifestations sociales dignes d'étude.

En raison de cette diffusion et de ce chevauchement avec d'autres cultures dans les pays de la diaspora, il était nécessaire d'aborder l'impact de la culture de ces sociétés sur les structures culturelles des générations musulmanes libanaises qui y ont grandi, et ainsi d'essayer de définir les caractéristiques de cette culture. la nouvelle identité culturelle acquise dans les pays de la diaspora, notamment pour la jeunesse ou les générations émergentes à l'étranger.

La diaspora libanaise étant très large, il a fallu la préciser géographiquement, car l'influence culturelle ne se limite pas à un domaine précis, et n'est pas au même niveau et interaction partout, donc le choix de l'étudier a été fait dans les pays européens en en particulier, où la plus grande influence sur les caractéristiques de la culture orientale et islamique, et est la plus importante, un état de conflit et de résistance avec la culture de ce pays.

Sur la base de ce qui précède, et en raison de la nécessité d'aborder les concepts liés à la culture, à l'identité et aux générations, et en raison du grand chevauchement des objectifs de ces concepts entre les sociologues et la religion, et en raison de leur portée conceptuelle qui se chevauche, il est devenu Il est nécessaire d'aborder ces concepts de manière assez détaillée afin de déterminer les déterminants de chacun d'eux.

Mots-clés: Culture, Identité Culturelle, Générations, Aliénation, Intégration, Identification.

المقدّمة

الصراع الثقافي والتنافس بين الثقافات، وخصوصًا في المجتمعات المتعدّدة الثقافات، يُعدّان اليوم من أهمّ التحدّيات التي تواجه الدول الأوروبيّة خصوصًا، والغربيّة عمومًا، إذ كيف يمكن التوفيق بين سلوك جماعات تنتمي لثقافات مختلفة، قد تكون متناقضة أحيانًا كثيرة؟ في مجتمع تُعدّ مباحاته من المحرمّات لدى البعض الآخر، بالمقابل هناك محرّمات لدى فئة ما تكون مباحة لدى الآخرين.

كثيرًا ما تناول العلماء والباحثون مفاهيم عامّة مثل الثقافة والهويّة والجيل والتثاقف والتغيير الثقافي...إلخ، لكن في إطار علمي ومنهجي، من دون أن يلاحظوا التداخل بين مفردات السلوك بين ثقافتَيْن أو أكثر. إنما تناولوا مفاهيم اجتماعيّة مختلفة، كلٌّ من منظار ثقافته ومبادئه الاجتماعيّة أو الرمزيّة والدينيّة، ولأن الباحثين في الشرق الإسلامي[1]، يتناقلون هذه المفاهيم ويسقطونها على مجتمعاتهم الشرقيّة وغالبًا من دون تنقيح لها، لذلك كان لا بدّ في الخطوة الأولى، الوقوف عند هذه المصطلحات وتحديد المراد منها في كلّ بحث لدفع الوهم ولتخليص المفهوم من الاشتراكات المعنويّة واللفظيّة القائمة بين المفاهيم.

أهمية البحث

إن فكرة الصراع أو التزاحم بين القديم والجديد، والحركة المستمرّة بين المتناقضات، داخل النواة وبين السالبة والموجبة في الإلكترونيات، وغيرها، كلّها من الأفكار القديمة، لذا سيحاول البحث الوقوف عند تغيّر المفاهيم وتطوّرها في سياق معرفي متكامل، حتى نستطيع ملاحظة هذا الصراع أيضًا أو التزاحم، بين جيلَيْن أو أكثر، بين الآباء والأبناء، ليس في إطار التطوّر الطبيعي للمجتمع الأصيل، بل في البيئة الاستثنائيّة الطارئة وهي البيئة الاغترابيّة. والحقيقة، هو صراع حادّ بين الثقافات التي يحملها أبناء المجتمع الواحد في الغرب، ينشب ما بين ثقافة المجتمع وثقافة المهاجرين المسلمين، أو غيرهم.

(1) المقصود بالشرق الإسلامي، هي الدول التي تقع في شرق أوروبا والتي تعتنق الدين الإسلامي كدين الدولة أو دين الشعب.

وبما أن البحث هو علمي تحليلي، كونه يدرس مفاهيم نظريّة لها ارتباط وثيق بالظاهرة الاجتماعيّة الثقافيّة في بيئة خارجيّة، وحيث إن معدّل المهاجرين المسلمين إلى الدول الغربيّة مرتفع، يجعل نتائج هذا البحث مساعدة على وضع خطط أكثر واقعيّة، لفهم العلاقات الجدليّة بين الثقافات وفروقات جوهريّة في تشكّل الهويّة المكانيّة والثقافيّة بمختلف خصائصها، لا سيّما الهويّات الثقافيّة بين الأجيال.

يساعد هذا البحث على فهم أعمق للأسباب المؤدّيّة إلى التكامل أو إلى الاندماج الطبيعي والسلس بين الأجيال المسلمة المهاجرة وبين البيئة الاغترابيّة في الغرب.

الإشكالية

تتغيّر الهوية الثقافية للأجيال عند تغيّر البيئة الاجتماعيّة، لذا هناك اختلاف في الهويّة الثقافيّة والقِيَميّة بين الأجيال اللبنانيّة، بخاصّة الإسلاميّة منها، التي وُلدت ونشأت في المجتمعات والدول الأوروبيّة، وما بين تلك التي وُلدت ونشأت في لبنان. ومن الملاحظ أن الأجيال الجديدة التي تعيش وسط جماعات كثيرة من المهاجرين الذين ينتمون إلى نفس الهوية الثقافيّة، هم أكثر استعدادًا لتقبّل الاختلاف بسبب التأثّر بعوامل التثاقف والتبادل الثقافي البَيْني؛ وبالتالي، يمكنهم الحفاظ على هويّتهم الثقافيّة الأصيلة وتقبّل الآخر، أكثر من أولئك الذين عاشوا في الاغتراب كحالات منفردة أو منعزلة عن جماعات تشبههم، فتجدهم يعيشون حالة من التماهي (Assimilation)، مع الثقافة الجديدة.

إذًا، يسعى البحث لمعالجة جانب من إشكاليّة محدّدة وهي: لماذا كلّما كانت الجماعة الاغترابيّة أكبر، كانت قدرة الحفاظ على الهويّة الثقافيّة أكبر، وكانت عمليّة الاندماج سلسة أكثر.

وبطبيعة الحال هناك تساؤلات أوّلية تفرض نفسها، منها:

- كيف يمكن للجماعة في الاغتراب أن تساعد على نمط سلوك جامع لكلِّ أفراد الجماعة، ويساعدها على تحدّي الثقافة المحيطة؟.
- ما هو تأثير قوانين الدول المضيفة على ثقافة المهاجرين، لا سيّما أنها تضع قوانين تُلزم المهاجرين على التجمّع في جماعات متقاربة؟

منهج البحث

بما أن البحث يتناول دراسة تطوّر عدد من المفاهيم الثقافيّة وذات الصلة بالظواهر الاجتماعيّة وعوامل الاندماج والانخراط العضوي في المجتمعات، وأثر هذه المجتمعات على تغيير الهويّة الثقافيّة والاجتماعيّة، فلا بدّ من استخدام المنهج الوصفي والتحليلي، إضافة إلى المنهج المقارن، لما لهم من تداخل في قراءة الثقافة وتبدّلها بين مكان وآخر، وزمان وآخر، وجيل وآخر.

دراسات سابقة

حاول الكثير من العلماء والباحثين تناول المفاهيم الثقافية بمنهج أكاديمي وعلمي، ولكن من زاوية رؤاهم الخاصّة، وقد وردت أبحاثهم بطريقة علميّة، إلّا أن حديثها في هذا السياق لم يكن عامًّا شاملًا، فقد سعى «دنيس كوش» في كتاب «**الثقافة**»، تناول قضايا قِيميّة عديدة، منها مفاهيم الثقافة والتثاقف والأجيال، ولكنها جاءت متأثّرة بالخلفيّة الثقافيّة الغربيّة التي ينتمي إليها. كذلك حال «أنتوني غيدنز» في كتابه «**الهويّة**»، عندما تناول محدّدات الهويّة بلحاظ البيئة الثقافيّة ذاتها من دون الأخذ بعين الاعتبار التعدّديّة البيئيّة التي تعيشها الشعوب المهاجرة إلى الغرب. وأيضًا؛ نجد «كارل مانهايم» قد تناول في كتابه «**صراع الأجيال**»، مسألة الاختلاف بين الأجيال من حيث الحاجات والرغبات وكيفية إشباعها، لكنه نظر إلى الفروقات البينيّة في المجتمع ذاته من دون النظر إلى الهجرة والاختلاف البيئي بين الوطن الأصيل والوطن المهاجَر إليه، أي بين ثقافة الأهل الذين نشأوا في الشرق الإسلامي وبين الأبناء الذين نشأوا في الغرب لكن وسط أسرة مسلمة.

فإنّ معظم الدراسات القيّمة والمهمّة في هذا السياق لم تتناول الاختلاف البيئي والمحيطي بين الجيل الأوّل والجيل الثاني، وما يترتّب على هذا الاختلاف من ظواهر ثقافيّة وقيميّة جديدة، ومن تشوّهات كبيرة تطرأ على ثقافة المهاجرين المسلمين إلى الغرب.

أوّلًا. مفهوم الثقافة

تعود المفاهيم الثقافيّة إلى أزمنة قديمة، استخدمها العلماء والباحثون في

كتاباتهم أمثال ابن خلدون في مقدّمته، ومن بعده كُثُر من الباحثين العرب والمسلمين، استخدموا مصطلح «الثقافة» بنفس التعبير أو بمرادفاته، وتجد أيضًا في هذه الاستخدامات الاختلاف في تحديد المفهوم، لأن معظمها منقول عن ثقافات غربيّة وبلغات أجنبيّة، حيث تنوّعت واختلفت باختلاف المقاصد منها، وبسبب ذوق المترجم والناقل للكلمة. لذا، باتت هناك حاجة لدى الباحثين بالثقافة والدارسين لها بكل جوانبها، أن يتوقفوا عند مصطلحات الثقافة ليبيّنوا المعنى المراد والدائرة المقصودة من المعنى.

أ. تعريف الثقافة في الإصطلاح

يُعدّ مفهوم الثقافة من المفاهيم المحوريّة في علم الاجتماع، وهو من الأفكار الكبرى التي ساعدت البشريّة على إنجاز الكثير من التقدّم العلمي والتطوّر الفكري، ويتميّز هذا المفهوم بأنه ذو طبيعة تراكميّة ومستمرّة. فالثقافة هي ميراث اجتماعي لكافّة منجزات البشرية. لذلك يصعب إيجاد تعريف موحّد وشامل للمفهوم، لأنّه على الرغم من شيوع استخدام مصطلح «الثقافة» على ألسنة العامّة من الناس، إلّا أن المختصّ في دراسة العلوم الاجتماعيّة، حينما يحاول تعريفه، يجد تعريفات عديدة، في نطاق علمه والعلوم الأخرى، وكل تعريف منها يعكس وجهة نظر صاحبه، أو النظريّة التي ينتمي إليها. فقد أحصى كل من «كروبير»(Kroe-ber)[1] وكلاكهون (Kluckohn)[2]، ما يزيد على مائة وستين تعريفًا للثقافة، والمفاهيم المرتبطة بها[3].

فقد عُرفت كلمة «الثقافة» في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فالكلمة الفرنسيّة كانت تعني في القرون الوسطى، الطقوس الدينيّة «Cultes». لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبّر عن فلاحة الأرض، ومع القرن الثامن عشر، اتّخذت منحًى يعبّر عن التكوين الفكري عمومًا، وخصوصًا عند التقدّم الفكري للشخص[4].

(1) Alfred Louis Kroeber (June 11, 1876 – October 5, 1960) was an American cultural anthropologist.

(2) Clyde Kluckhohn was an American anthropologist and social theorist.

(3) علي عبد الرازق جلبي: **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، لا ت، ص 65.

(4) عبد الغني عماد: **سوسيولجيا الثقافة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006، ص 29.

إلا أن انتقال الكلمة إلى الألمانيّة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أكسبها لأوّل مرّة وقبل رجوعها إلى فرنسا، مضمونًا اجتماعيًّا. فقد أصبحت تدلّ بخاصّة على التقدّم الفكري الذي يتحصّل عليه الشخص أو المجموعات الإنسانيّة، أما الجانب المادّي في حياة الأشخاص فقد أفردت له الألمانيّة كلمة «حضارة»[1].

إلّا أن هذه الكلمة أخذت معنًى ومدلولًا آخر عندما تمّت استعارتها من طرف الأنثروبولوجيا الإنكليزيّة، وتحديدًا السير «إدوارد تايلور»[2]، الذي نشر في كتابه الكلاسيكي «**الثقافة البدائية**» (Primintive Culture)، بوصفها الكلّ الديناميكي المعقّد الذي يشتمل على المعارف والفنون والمعتقدات والقوانين والأخلاق والتقاليد والفلسفة والأديان والعادات التي اكتسبها الإنسان في مجتمعه بوصفه عضوًا فيه[3]. وأكّد تعريف تايلور على نقطتين أساسيّتَيْن، هما:

- **مكتسبة**: يكتسب كلٌّ منّا الثقافة بوصفه عضوًا في مجتمعه.
- **ماديّة ومعنويّة**: الثقافة ليست ماديّة فحسب، بل هي معنويّة. وتتكوّن من الأشياء الماديّة التي يمكن عدّها أو قياسها، ومن الأشياء المعنويّة كاللغة والفنون...إلخ. لذا؛ فالثقافة هي المركّب الشامل من التفاعل الاجتماعي.

كذلك توالت فيما بعد تعريفات كثيرة، منها تعريف «روبرت بيرستد» الذي ظهر في أول ستينيّات القرن الماضي، بأن «الثقافة هي ذلك الكلّ المركّب الذي يتألف من كلّ ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع»[4]، وأيضًا تعريف «إي دوشيه» الذي يقول إن «الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريبًا في قواعد واضحة والتي اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص، تستخدم

(1) عبد الغني عماد: **سوسيولجيا الثقافة**، مرجع سابق، ص 29.

(2) عالم اجتماع إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال العلوم الاجتماعية وتطوّر الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذًا للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد. أهم كتبه «**الثقافة البدائية**» و«**الانثروبولوجية**». راجع: **ادوارد برنت تايلور** (1832-1917)، موقع **أرنتروبوس** الإلكتروني، شوهد في تاريخ 11/ 9/ 2024، على الرابط: https\\www.aranthropos.com

(3) دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2007، ص 31.

(4) عبد الغني عماد: **سوسيولجيا الثقافة**، مرجع سابق، ص 32.

بصـورة موضوعيّـة ورمزيّة في آنٍ معًا، من أجل تكوين هؤلاء الأشـخاص في جامعـة خاصّـة ومميّزة»[1].

وفي تعريـف آخـر؛ يـرى «برونسـيلاف مالينوفسـكي»[2]، أن «الثقافـة تـشمل فيمـا تـشمل الحـروف الموروثة والعمليـات الفنّية والأفـكار والعـادات والقيم»[3]. وفي تعريف آخر شـبيه بالسـابق، يقـول «مالينوفسـكي»، إن «الثقافة هي سـلوك تمليه حاجـات ودوافـع الأفـراد»[4]، بـل إنّنا نجـد تعريفًا آخـر يقـول إن الثقافـة «في حقيقة الأمـر هـي كلّ مـا يتعلـق بعمليّـة تنظيـم البشر في جماعـات دائمـة»[5]. واقـترح «عبد الإلـه بلقزيـز»، في محاولة مناقشـة مفهـوم الثقافة، إعطـاء تعريف لها، بالقـول: «نقترح تعريفًـا للثقافـة في مسـتويات ثلاثـة مـن حيث هـي إدراك ومـن حيث هـي تكيّف، ثم من حيـث هي تكييـف»[6].

أمـا «أنتـوني غدنـز»، فيعـرّف الثقافـة أنهـا تعنـي «في نظـر علمـاء الاجتمـاع جوانـب الحيـاة الإنسـانيّة التـي يكتسـبها الإنسـان بالتعلّـم لا بالوراثـة، ويـشترك أعـضاء المجتمـع بعنـاصر الثقافة تلـك، تتيح لهم مجـالات التعـاون والتواصل، وتمثل هـذه العنـاصر السـياق الـذي يعيش فيـه أفـراد المجتمـع، وتتألّـف ثقافـة المجتمع من جوانـب مضمـرة غيـر عيانيّـة مثـل المعتقـدات والآراء والقيـم التي تشـكّل المضمون الجـوهري للثقافـة، ومـن جوانب عيانيّة ملموسـة مثل الأشـياء والرمـوز أو الثقافة التي تجسّـد هـذا المضمـون»[7].

(1) عبد الغني عماد: **سوسيولجيا الثقافة**، مرجع سابق، ص 70.
(2) مؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية وأحد أهم علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، رائد في الأنثروبولوجيا الثقافية، ولد في بولندا في العام 1884م، وتوفي في العام 1942م. انظر: فريدريك معتوق: **الموسوعة الميسّرة في العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2012، ص 251.
(3) فريدريك معتوق: **الموسوعة الميسّرة في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 251.
(4) المرجع نفسه، ص 252.
(5) محمد السويدي: **مفاهيم علم الثقافي ومصطلحاته**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1991، ص 48.
(6) عبد الإله بلقزيز: **في البدء كانت الثقافة**، إفريقيا الشرق للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998، ص 42.
(7) يحي مرسي: **أصول علم الإنسان**، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2000، ج 1، ص 352.

ب. الخصائص العامّة للثقافة

في إطار ما سبق، يمكن تحديد بعض الخصائص العامّة للثقافة بما يلي[1]:

- تنشأ الثقافة في مجتمع معيّن، ويظهر هذا جليًّا في سلوك أعضاء ذلك المجتمع. فلا يمكن أن نفكّك بين ثقافة ما وبين مجتمعها الذي نشأت وتبلورت فيه.
- الثقافة قابلة للتناقل، وعمليّة التناقل هذه، تقتصر على الإنسان بوصفه الكائن الوحيد الذي يبدو قادرًا بدرجة كبيرة على أن ينقل ما اكتسبه من عادات لأقرانه، وتُعدّ اللغة عاملًا أساسيًّا في هذا المجال. ولا تتضمّن عمليّة التناقل الإجراءات والمعرفة فقط، بل تشمل أيضًا، تهذيب الدوافع الغريزيّة خلال السنوات الأولى من عمر الإنسان، وهذا التناقل يمدّ الثقافة بالديمومة.
- تتميّز الثقافة بالدوام والاستمرار عبر الزمن، بسبب قدرتها على تخليد نفسها بالتناقل بين أفرادها.
- الثقافة ميراث اجتماعي، فالعادات الخاصّة بالنظام الثقافي تنتقل وتستمرّ عبر الزمن، كما يشارك فيها كل الأفراد الذين يعيشون داخل تجمّعات المنظمة، أو جماعات تحرص على الامتثال لتلك العادات تحت وطأة الضغوط الاجتماعيّة.
- الثقافة وظيفة التوافق، فهي توافق مع البيئة الجغرافيّة للمجتمع ومع الشعوب المحيطة بها، كما تتوافق مع المطالب النفسيّة والبيولوجية للكائن البشري، والثقافة المخالفة أو المختلفة تكون مثار التعجّب والاستهجان لدى أعضاء الجماعة.
- الثقافة هي ذلك الكلّ المركّب والمعقّد، الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والقِيَم والقانون والعادات، التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع. ويشمل ذلك الجانبين: المادّي وغير المادّي.
- الثقافة تنظيم يشمل مظاهر الانفعال والأفكار والمشاعر، التي يعبَّر عنها الإنسان عن طريق الرموز بفضل اللغة التي يتعامل بها، وبهذه الصفة الرمزيّة أصبح من السهل انتقال الثقافة بين الجماعات.

(1) عبد الغني عماد: **سوسيولجيا الثقافة**، مرجع سابق، ص 68.

- الثقافة مكتسبة، فهي المصطلح الاجتماعي للسلوك المكتسب المتعلّم، فجوهر الثقافة عند الإنسان هو التعلّم تمييزًا لها عن الصفات الموروثة، وتأكيدًا لقدرة الإنسان على التعلّم. فالثقافة إذًا؛ تنتقل عبر الأجيال، الأمر الذي جعل من القِيَم والمعتقدات والأفكار عادة مفروغًا منها، وطبيعيّة أكثر منها مادّة تعليميّة[1].
- الثقافة عقليّة، فهي تتكوّن من السلوك والفكر المكتسبَيْن لدى أفراد المجتمع، ويتمثّل هذا الفكر في المعاني والمُثل والأنظمة والمعتقدات.
- الثقافة تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ووظيفتها توجيه سلوكهم بمنحى انسيابي إرادي وطوعي.
- الثقافة مثاليّة وواقعيّة، فالثقافة المثاليّة تشتمل على الطرق النظريّة والعقديّة التي يعتقد الناس أن الواجب عليهم السلوك وفاقًا لها، أو التي قد يرغبون في إنتاجها، أو التي يعتقدون أنّه من الواجب عليهم السلوك بمقتضاها. أما الثقافة الواقعيّة، فإنها تتشكّل من سلوكهم الفعلي. فإن الفاصل بين الثقافة المثاليّة والثقافة الواقعيّة آخذ – بالتأكيد– في الاتّساع. وتؤدّي هذه الفجوة بينهما إلى التخلّف الثقافي[2].

والمحدّد الأخير للثقافة الواقعيّة، التي تنحرف بمسارها عن الثقافة المثالية، يشكّل الفارق التطوّري للثقافة، ويشكّل الأساس لتولّد الصراع الثقافي بين الأجيال في المجتمع الواحد. وفي التراث الإسلامي، نجد هذا المعنى بكثرة في كلام أئمة أهل بيت النبي(ص) عندما يتم تناول موضوع الفروقات الثقافيّة والفكريّة بين الأجيال، لا سيّما بين الآباء والأبناء[3]، وهو ما أشار إليه علماء الاجتماع في زماننا الحاضر تحت عنوان «صراع الأجيال»[4]، فإن الفروقات الطَبعِيّة والظرفيّة بين

(1) ديفيد إنغليز: **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، ترجمة لما ناصيف، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية، بيروت، ط 1، 2013، ص 18.

(2) عبد الغني عماد، **سوسيولجيا الثقافة**، مرجع سابق، ص 67

(3) ورد عن الإمام عليّ(ع) قوله: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهّم مخلوقون لزمان غير زمانكم». راجع: **نهج البلاغة**، شرح ابن أبي الحديد، فقرة «الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب(ع)»، تسلسل 102.

(4) Karl Mannheim: **Les Problemes des Generations**, Armand Colin, France,1st Ed. 2011.

الأجيال، تؤثّر على الخيارات وعلى الانتقاء في المبادىء والسلوك، كما أنّ الطفرة العلميّة والتكنولوجيّة فرضت خيارات واسعة لم تكن متاحة في الأزمنة الماضية، لا سيّما أدوات العولمة الحديثة ووسائلها، التي استطاعت أن تتجاوز كلّ حدود الجغرافيا، وانتهكت ثقافات الأغيار بكل جدارة.

إذًا؛ إنّ محدّدات الثقافة كمفهوم اجتماعي، ليست واحدة وإنّما يمكن إحصاؤها وتعداد نماذج عنها، كما تقدّم. يبقى أن القارىء والباحث، عليه أن يحدّد ما يريده أو ما يقصده من هذا المفهوم بحسب الغرض من تناوله وبحسب الميدان الذي يجري فيه دراسته.

ثانيًا. مفهوم الهويّة

في الاغتراب، حيث تتداخل المظاهر الاجتماعية وتنصهر فيها الهويات الثقافية والمكانية، لا بدّ من الوقوف عند مفهوم الهويّة لتحديد معالم البنية الثقافيّة للأجيال المسلمة المقيمة في الدول الغربيّة.

أ. الهوية اصطلاحًا

إن مفهوم الهويّة هو مفهوم إشكالي أيضًا، فهو معقّد ومركّب ويحتمل الكثير من المعاني والتفسيرات، وما زاد من تعقيده وغموضه، أنّه مفهوم شائع وعابر للاختصاصات والنظريّات تمامًا كمفهوم الثقافة، ولقد كان وما زال مفهوم الهويّة ميدانًا مهمًّا للبحث في علم الاجتماع، فهو محور أساسي تناولته كلّ التيارات تقريبًا مثل «تاجفل» و«تورنر»، وقد عبّر «كوتلوب فريج» (Gottlobfrege)، عن هذه الصعوبة في تعريف الهويّة بالقول: «إن مفهوم الهويّة غير قابل للتعريف لأن كل تعريف هو بحدّ ذاته هويّة ولذلك لا يمكن تعريف الهويّة بالهويّة»[1]. وكذلك يقول «غيدنز» عن الهوية «أنها تتعلّق بفهم الناس وتصوّرهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنّه مهم في حياتهم ..»[2].

(1) علي أسعد وطفة: **الهوية الأصولية في زمن التصادم**، مجلة **المعرفة** السورية، وزارة الثقافة في سوريا، العدد 557، شباط 2010، الملف 1062، ص 45.

(2) أنتوني غيدنز: **علم الاجتماع** (مع مدخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2005، ص 90.

وهويّـة الفـرد هـي منظومـة متكاملـة ومترابطة مـن المعطيـات الماديّة والنفسـيّة والمعنويّـة والاجتماعيّـة التـي تنطـوي عـلى خاصّـة الإحسـاس بالانتـماء والشـعور بها كوحـدة داخليّة متناغمة تتمثّل في الشـعور بالاسـتمراريّة والكلّيّـة والتمايز والديمومة. وهـي كـما يقـول «بـير تـاب»: «نظـام مـن التصـوّرات والمشـاعر الذاتية حـول الذات نفسـها»[1]، ويـرى «كاميلـري» أن «للهويّـة ثلاثـة جوانـب يُعـبّر كل منهـا عـن وظيفة محدّدة»[2].

1. الجانب المجرّد (الانطولوجي)

هـو يلبّـي الوظيفـة المعنويّـة، حيـث تـؤدّي الهويـة دورًا مهـمًّا في عمليـة إنتـاج الـذات الفرديّـة والجماعيّة، وتأكيـد جوهرها وخواصّها الأساسـية، وإعطـاء معنًى لها، والشـعور بوحدتهـا وتناسـقها، مـن خـلال تمثيلها لقِيَـم الجماعـة ومعاييرهـا، وثقافتها التـي نشـأ فيها الفـرد وتربّـى عليهـا، وهذا مـا يمكـن تسـميته بالهويّـة الوجوديّة[3].

2. الجانب القِيَمي

هـو يلبي حاجة تقديـر الذات، فالفرد بحاجـة دائمًا للإحسـاس بالقيمة الإيجابيّة لـه ولجماعتـه التـي ينتمي إليهـا، لذلك يسـعى بصـورة دائمـة إلى إعطاء صـورة إيجابيّة عنـه وعـن هذه الجماعـة، وهو ما يمكن تسـميته بالهويّـة المثاليّـة أو الظاهريّة.

وهـذه الهويّـة عـلى علاقـة مباشرة مـع المحيـط الـذي يعيش فيـه الفـرد. فهو لا يعيـش بمعزل عـن الآخرين، وهويّتـه في نتاج تفاعلاتـه الاجتماعيّة متعلّقـة مع محيطه، وكيفيّـة نظـر هـذا المحيط لـه. بمعنى آخـر، إنّ صـورة الذات التـي يرسـلها الآخرون للفـرد، لهـا دور كبـير في بنـاء شـخصيّته، وهـذه الصـورة يمكـن تسـميتها بالهويّـة المفروضـة اجتماعيًّـا، لأن المحيـط هـو مـن يفرضهـا عـلى الفرد.

3. الجانب البراغماتي

يـؤدّي دور الوظيفـة الإدماجيـة، فبـما أن المحيـط الـذي يعيـش فيـه الفـرد مليء

(1) Tap, P**: Masculin et féminin chez l'enfant**, Privat, Toulouse, 1985, p 39.
(2) جوزيف كاميلري: **أزمة الحضارة**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص 51.
(3) أنتوني غيدنز: **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 91.

بالتناقضات والتنوّع وعدم التوافق والانسجام مع مكوّناته، فإنه يشكّل تهديدًا لوحدة الهويّة وانسجامها، وتسعى هذه الأخيرة إلى إدماج الأفراد وتكييفهم مع محيطهم بصورة مستمرّة، حيث يقوم هؤلاء الأفراد بتغيير سلوكهم وتعديله لينسجم مع واقعهم، وهذا ما يُسمّى بالهويّة الواقعيّة.

في المحصّلة، إن الهوية هي نتاج علاقة ديناميكية وتفاعلية جدلية بين الوظائف الثلاث للهويّة، الأنطولوجية وتقدير الذات والوظيفة الإدماجيّة. وهذا ما تعبّر عنه الأسئلة الوجوديّة التي يطرحها كل فرد على نفسه بطريقة واعية أو لا واعية: كيف أحبّ أن أكون؟ كيف يراني الآخرون؟ من أنا فعلًا؟

إذًا؛ فالهويّة تنبني وتنهدم وتعيد بناء ذاتها وفاقًا للوضعيّات، إنها في حركة دائمة، إذ يحملها كلّ تغيير اجتماعي على إعادة صياغة نفسها بطريقة مغايرة[1].

من جهة أخرى، أصبحت الهويّة مع تشييد الأمم الحديثة، شأنًا للدولة، وأصبحت متصرّفًا في الهويّة، تسنّ لها الترتيبات وتضع لها الرّقابات. إنّه من منطق نموذج الدولة – الأمّة، أن تزداد صرامته في موضوع الهويّة.

تنزع الدولة الحديثة نحو التعريف الأحادي للهويّة، وذلك إمّا بأن لا تعترف إلّا بهويّة ثقافيّة واحدة لتحديد الهويّة القوميّة، وهذه هي حالة فرنسا، وإمّا مع قبولها بتعدّديّة ثقافيّة داخل الأمّة، لتحدّد هويّتها المحليّة، واعتمادها الهويّة الأحاديّة التعدّديّة، وهذه هي حالة الولايات المتحدة. إن الأيديولوجيا القوميّة هي أيديولوجيا إقصائيّة تجاه الاختلافات الثقافيّة ومنطقها الأقصى هو منطق «التطهير الإثني».

تسجّل الدولة في المجتمعات الحديثة هويّة المواطنين بشكل متشدّد جدًّا، إذ يبلغ بها الأمر، في بعض الحالات، حدّ صنع بطاقات هويّة «غير قابلة للتزوير»(أي لا يمكن إجراء أي تعديل على محتواها). ويجب قبولها كما هي من دون السماح بالتغيير أو التعديل، لذلك، فإن الأفراد والجماعات باتوا أقلّ حريّة في تحديد هويّاتهم بأنفسهم. وتفرض بعض الدول المتعدّدة الإثنيّات على رعاياها، أن يثبتوا هويّة إثنيّة ثقافيّة أو طائفيّة على بطاقات هويّاتهم، على الرغم من أن البعض لا يجد

(1) دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 167.

نفسه في هذا التحديد للهويّة. لذا يمكن أن يكون لهذه العنوَنة، ما دام النزاع بين مختلف المكوّنات قائمًا، عواقب مأساويّة، على صورة ما شهدناه في النزاع اللبناني أو النزاع الراوندي[1]. هذا من ناحية الهويّة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الفرد، ولكن كما يقول «غيدنز» إنه «إذا كانت الهويّات الاجتماعيّة دليلًا على التشابه بين الأفراد، فإن الهويّة الذاتيّة (أو الهويّة الشخصيّة) تضع الحدود المميّزة لنا بوصفنا أفرادًا»[2]. وتشير الهويّة الذاتيّة إلى عمليّة التنميّة الذاتيّة التي نرسم من خلالها ملامح متميّزة لأنفسنا ولعلاقاتنا مع العالم من حولنا.

أخيرًا، إن انسجام الفرد وتكيّفه مع ذاته من جهة ومع الآخرين من جهة أخرى وقدرته على إدارة تلك العلاقة الديناميكيّة التفاعليّة بين وظائف الهويّة الثلاثيّة، محكومة بفهمه لمعايير وقِيَم ثقافته التي يعيش ضمنها وقدرته على محاكاتها، فالهوية لا يمكن أن تستخلص قيمها وقيمتها إلا من خلال المعايير العليا للمجتمع وللجماعة التي ينتمي إليها الفرد. بمعنى آخر، إن الثقافة توفّر مرجعية لتشكّل وتشكيل الهوية. لذلك يسعى الأفراد والجماعات أثناء عملية التفاعل مع المحيط الذي يعيشون فيه إلى بناء هويّة مرغوب فيها وذات قيمة لدى الآخرين. فالهوية الواقعية ناتجة عن الهوية المفروضة اجتماعيًّا والهويّة الذاتيّة، وهذا ما نشهده وسط الجاليات المسلمة في الغرب.

ب. هوية المهاجرين

في ظل اللا تجانس بين ثقافة المهاجر المسلم الأصليّة من جهة وثقافة المجتمع المضيف(الغربي) من جهة أخرى، يعاني المهاجر أمرَيْن اثنَيْن[3]:

1) **الصراع**: الصراع الثقافي بين معايير ثقافته الأصليّة وقِيَمه، وبين معايير ثقافة المجتمع المضيف وقِيَمه، ما يؤثّر بشكل كبير على التوازن والانسجام والتناسق والترابط بين وظائف الهويّة التي أشرنا إليها سابقًا، وهذا بدوره يؤدّي إلى ضغوط نفسيّة واجتماعيّة كبيرة على المهاجر.

(1) دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 158-159.
(2) أنتوني غيدنز: **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 90.
(3) عزام أمين: **سيكولوجيا المهاجرين، استراتيجيات الهوية واستراتيجيات التثاقف، دراسة تحليلية نظرية**، وحدة البحوث الاجتماعية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، دمشق، 2016، ص 12.

2) **اعتبار الذات**: الأمر الآخر الذي يعانيه المهاجر، تدني اعتبار الذات، فبسبب علاقته غير المتكافئة مع المجتمع المضيف التي يغلب عليها دائمًا نوع من الهيمنة الثقافيّة والأفكار النمطيّة والنظرة الدونيّة له من قبل هذا المجتمع، يلجأ المهاجر غالبًا إلى نوعَيْن من الاستراتيجيات من أجل التكيّف الاجتماعي:

- **النوع الأوّل**: مرتبط بتجنّب الصراع الثقافي وبإعادة الترابط والانسجام الهويّاتي.
- **النوع الثاني**: له علاقة بوظيفة تقدير الذات والإحساس بالقيمة الإيجابيّة.

من هنا لا بدّ من الوقوف عند ما يؤرّق تفكير الأُسَر العربيّة المسلمة المهاجرة بصفة عامّة في المجتمعات غير العربيّة (الغربيّة تحديدًا)، هو كيفيّة خلق التكافؤ بين الواقع المُعاش والذي يفرضه الشارع بكل عوامله، وبين أخلاقيّات الإسلام والتقاليد العربيّة التي تفرضها الهويّة بشكل عامّ.

ثالثًا. مفهوم المثاقفة

في المجتمعات المتعدّدة الثقافات، لا شكّ في حدوث تأثّر ثقافي وتداخل في مظاهر وسلوكيّات كلّ ثقافة لدى الجماعة الأخرى، وبالتالي هناك تأثّر وتأثير على المستوى الثقافي، في المجتمعات الغربيّة التي هاجر إليها المسلمون بشكل عام. لذلك ينبغي الوقوف عند هذا المصطلح وتحديد مفهومه، عند دراسة تأثير الهجرة على البناء الثقافي.

1. تعريف المثاقفة اصطلاحًا

لمصطلح «المثاقفة» معانٍ متعدّدة، وقد جرى تداوله في كثير من الدراسات التي تهدف إلى فهم طبيعة العلاقات المتبادلة بين الكيانات الثقافيّة المتنوّعة، إذ يطرح المصطلح مفهوم تبادل التأثير والتأثّر الثقافي، وقد استُخدم أوّلًا في أدبيّات علماء الاجتماع. ولكنّه راج أيضًا في أدبيّات علم الاجتماع وعلم النفس بعد الحرب العالميّة الثانيّة. وأوّل التعريفات العلميّة لهذا المصطلح، طُرح في العام 1963،

من قبل مجموعة من الباحثين الاجتماعيّين الأمريكيّين[1]. وبحسب هؤلاء فإن مصطلح المثاقفة يشير إلى الظواهر الناتجة عن تواصل واحتكاك مستمرّ ومباشر بين مجموعات من الأفراد ينتمون إلى ثقافات متنوّعة ويؤدي هذا التواصل إلى تغيّرات في الأنماط الثقافيّة لهذه المجموعات[2]. وهذا المفهوم ينطبق بلا شكّ، على ثقافة المهاجرين إلى بلاد الغرب وعمليّة التثاقف الحاصلة بسبب الاحتكاك بين ثقافة المهاجرين المسلمين وثقافة المجتمع الغربي السائد.

واليوم؛ يُطرح مفهوم «المثاقفة» في وجه مفهوم «الإبادة الإثنيّة» التي تدعو إلى التهديم النسقي لثقافة مجموعة ما، ليس فقط لطرقها في العيش، بل أيضًا لطُرِقها بالتفكير كذلك[3].

إذًا؛ تشير المثاقفة إلى العمليّات والآليّات التي تتأثّر بمفعولها جماعة بشريّة معيّنة، وتتكيّف جزئيًّا أو كليًّا مع مكوّنات ثقافة جماعة بشريّة أخرى هي في حال اتّصال معها. إنّها بمنزلة ردّ فعل كيان ثقافي معيّن تجاه تأثيرات وضغوط ثقافية تأتيه من الخارج، وتمارَس عليه، مباشرة أو غير مباشرة، علانيةً أو بكيفيّة خفيّة وتدريجيّة. إنّها طريقة التفاعل والتكيّف مع الثقافات الأخرى المغايرة، إمّا عن وعي وإما بكيفيّة لا شعوريّة[4].

ويشير مصطلح المثاقفة إلى تفاعل فكري وثقافي متكافئ الأطراف، وبين مجموعات متكافئة في الحقوق والواجبات، وفي هذه الحال، يكون الاستيعاب والتمثّل والتعديل والتطوير والتبادل الثقافي والاعتراف المتبادل والتعاون، هم الركيزة الأساسيّة التي تقوم عليها سيرورة المثاقفة، إلّا أن الباحثين المهتمّين بدراسة

(1) الاسم مبتدع منذ العام 1880 من قبل ج «و. بوبل» عالم الأنثربولوجيا الأميركي. انظر: فادية مصارع: **من جديد.. جدل حول مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، موقع صحيفة **الثورة** الإلكتروني، نشر في تاريخ 16/ 9/ 2009، شوهد في تاريخ 12/ 9/ 2004، على الرابط:
http://archive.thawra.sy/_print_veiw.asp?FileName=85089262020090915213932.

(2) عزام أمين: **سيكولوجيا المهاجرين**، مرجع سابق، ص 38.

(3) راجع: دنيس كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 103.

(4) عبد الرزاق الداوي: **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط 1، 2013، ص 65.

الموضوع، لاحظوا أنه نادرًا ما تكون هذه العمليّة متكافئة[1]، وهكذا تتواجد مجموعة مُسيطرة (مجموعة مُثاقفة)، وغالبًا ما تكون هذه المجموعة مهيمنة، وهي التي تصدّر ثقافتها «المتفوّقة» وقِيَمها إلى المجموعة الأخرى، ولا تتغيّر كثيرًا جرّاء عمليّة المثاقفة، بينما تكون المجموعة الأخرى تابعة، كما هو الحال مع المهاجرين (مجموعة تثاقف)، حيث تقوم بالجزء الأكبر من عمليّة المثاقفة، وتتعرّض أكثر للتغيّرات الناتجة عن هذه العمليّة. ولهذا يستخدم البحث أحيانًا مصطلح «تثاقف» بديلًا عن «مثاقفة»، وذلك للدلالة على هذه العلاقة غير المتكافئة بالنسبة للمهاجرين.

ويُعدّ «غرافيز» أول من استخدم مصطلح «المثاقفة» على المستوى الفردي، وأسّس بذلك لما يُعرف بعلم نفس المثاقفة. وقد أكّد هذا الباحث ضرورة الأخذ بعين الاعتبار، الأبعاد الشخصيّة والنفسيّة في عمليّة المثاقفة، وللدلالة على الفروقات الفرديّة بين المهاجرين. فدرجة تقبّل الاختلاف الثقافي واستيعابه وقبول التغيّر والقدرة على تمثّل ما هو جديد تختلفان من شخص إلى آخر[2].

وقد استخدم «بيري» مصطلح «استراتيجيّات التثاقف» في العام 1980. للدلالة على العمليّات والآليّات التي يلجأ إليها المهاجرون بشكل شعوري ولا شعوري، من أجل التكيّف مع ثقافة المجتمع المضيف.

ب. المهاجرون والتثاقف

بحسب نظرية «بيري»، يلجأ المهاجر إلى استراتيجيّات هويّاتيّة عدّة في أثناء عملية التثاقف، وذلك من خلال موقفه من ثقافته الأمّ ومن ثقافة المجتمع المضيف، ويتحدّد هذا الموقف من خلال متغيّرَيْن: الرغبة بالحفاظ على الهويّة الثقافيّة الأصليّة (الأمّ)، والرّغبة بالاختلاط مع المُجتمع المضيف وتبنّي ثقافته وقِيَمه بالاندماج.

ويُعبّر عن هذَيْن المتغيّرَيْن سؤالان يطرحهما كلّ مهاجرٍ على نفسه بشكلٍ مباشر أو غير مباشر:

(1) عزام أمين: **سيكولوجيا المهاجرين**، مرجع سابق، ص 39.
(2) المرجع نفسه، ص 43.

- هل يجب الحفاظ على الهويّة الثقافيّة الأصليّة؟
- هل يجب الاختلاط مع أفراد المجتمع المضيف، والمشاركة معهم في الحياة الاجتماعيّة؟

هذان السؤالان والإجابة عنهما يسمحان لنا بتحديد أربع استراتيجيّات تثاقفيّة يوضّحها «بيري» في الجدول الآتي:

جدول استراتيجيات«بيري» التثاقفيّة

	السؤال	الإجابة			
1	هل يجب الحفاظ على الهُويّة الثقافيّة الأصليّة؟	نعم	كلا	نعم	كلا
2	هل يجب الاختلاط مع أفراد المجتمع المستضيف والمشاركة معهم في الحياة الاجتماعيّة؟	نعم	كلا	كلا	نعم
	النتيجة	اندماج	تهميش	انعزال	تماهي

الجواب على السؤال الأوّل، يشير إلى الرغبة بالحفاظ على الثقافة الأصليّة، وبالتالي سيرافقها نمط من السلوك المنسجم معها والمختلف مع المحيط. والجواب على السؤال الثاني يشير إلى الرغبة بالمشاركة مع المحيط والتماثل الاجتماعي معهم، وحتى نستطيع تصنيف الأفراد بحسب رغباتهم من خلال الإجابة على السؤالين نستنتج أربعة أنماط:

- **الاندماج (Intégration)**: أي الإجابة بـ«نعم» على السؤالَيْن الأوّل والثاني كلَيْهما، هي حال المهاجر الذي يرغب بالحفاظ على خصائص هويّته وثقافته الأمّ، كاللغة والديانة والعادات والتقاليد، وفي الوقت نفسه يرغب بالتواصل مع المجتمع المضيف وتبنّي خصائصه الثقافيّة. وبحسب «بيري» فإن الاندماج يعبّر عن محاولة المهاجر التوفيق ما بين الثقافتَيْن، وهو يُمثّل الجانب الإيجابي في عمليّة التثاقف. لكنّه يحتاج إلى وعي وقدرات ثقافيّة ودرجة عاليّة من انفتاح الشخصيّة والثقة بالنفس والقدرة المعرفيّة والنفسيّة على القيام بهذا التوفيق والتوليف بين الثقافتَيْن.

- **التماهي (Assimilation)**: في قراءة الإجابتَيْن: «لا» عن السؤال الأول/ «نعم» عن السؤال الثاني، وهو الرغبة بالتخلّي عن الثقافة والهويّة الأصلية لصالح الثقافة والمجتمع المضيف وهويّته. وفي هذه الحال يتشبّع المهاجر بكثير من قِيم أفراد مجتمعه الجديد ومعاييرهم. فشخصيّة المهاجر المتماهي مع المجتمع المضيف قبل الهجرة مختلفة تمامًا عن شخصيّته بعد الهجرة، وغالبًا ما يلجأ المهاجرون الذين اختاروا هذه الاستراتيجيّة للتكيّف مع مجتمعهم المضيف إلى عمليّة قطع مع الماضي ومع بلدهم الأمّ. ولا يعبّرون بأي شكل من الأشكال عن حنين لهذا الماضي أو البلد. وهذا التماهي نراه أكثر لدى الجيل الثاني من أبناء المهاجرين الذين نشأوا بعيدًا عن أي تثاقف مع المجتمع المضيف.
- **الانعزال أو التقوقع الثقافي (Replicommunautaire)**: هذا الجانب من التثاقف يعكس رغبة المهاجرين بعدم الاختلاط مع أفراد المجتمع المضيف، وعدم الارتباط بالثقافة الجديدة (الجواب بـ «لا» عن السؤال الثاني)، مع رغبة منهم في المحافظة على ثقافتهم وهويّتهم الأصلية (الجواب بـ «نعم» عن السؤال الأول)، وهذه الاستراتيجيّة تشكّل -نوعًا ما- عملية مضادّة للتثاقف. وهي حال المهاجرين المنغلقين على أنفسهم، ويتّصفون بتصلّب آرائهم وشخصيّتهم وتعاملهم الفوقي في المجتمع المضيف[1]، ولكن يمكننا الحديث عن الفصل العنصري (Ségrégation)، بحال كان هذا التقوقع الثقافي مفروضًا على المهاجرين من خلال قوانين وتشريعات، وليس ناتجًا عن اختيارٍ ذاتي من قبلهم.
- **التهميش (Marginalisation)**: هي ردّة فعل المهاجرين الذين يفقدون خصائص هويّتهم وثقافتهم الأصليّة، وفي الوقت نفسه لا يستطيعون الاندماج في ثقافة المجتمع المضيف أو بناء علاقات مع أفراده، وقد يكون السبب غالبًا هو التمييز العنصري الذي يمارسه أبناء هذا المجتمع ضدّ المهاجرين. وهذه الحال ليست استراتيجيّة بحدّ ذاتها، وإنّما نوعًا من

(1) عبد الناصر السباعي: **علم النفس عبر الثقافي**، إصدار شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 27، 2013، ص 12. راجع النسخة الإلكترونية عبر الرابط:
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=181...

الاغـتراب النفـسي والضيـاع والتشـتّت. وتترجـم هذه الحالـة بمظاهـر التفلّت مـن القوانـين والاتّجـاه نحـو الجريمـة وإقصـاء الـذات عـن الانتظـام العـام.

رابعًا. مفهوم التغيّر الثقافي

عندمـا تتداخـل الثقافـات بين شـعوب متعـدّدة، كما هـو الحـال، في المجتمعات الغربيّـة اليـوم بعـد وفود العديد مـن الثقافات إليها بسـبب الهجرة، فإن هـذه الثقافات تشـهد تحـوّلًا في معالمهـا، وتتداخل فيهـا سـمات الثقافات المتعـدّدة وخصائصهـا، فإنّ مفهـوم التغيّر الثقـافي يعـبّر عـن التغيّرات التـي تطـرأ عـلى الثقافـة بسـبب التداخل والتخالـط مـع الثقافـات الأخرى.

أ. تعريف التغيّر الثقافي اصطلاحًا

عـلى الرغـم مـن أن مصطلـح «التغـيّر الثقـافي»، ينتـشر بـين علـماء الاجتـماع الأمريكيّـين، إلّا أن نظراءهـم الغربيّـين يفضّلـون اسـتخدام مصطلـح «التغـيّر الاجتماعـي»، بينـما يفضّـل غالبيـة العلـماء الاجتماعيّـين مصطلـح «التغـيّر الاجتماعـي والثقـافي» (Socio-cultural change).

ويمكـن تعريـف هـذا المفهوم عـلى أنّه يشـير إلى تعديـلات تشـهدها الثقافة على مـرّ الزمـن، ويظهـر ذلك بوضـوح بتحليـل المواقـف والعمليّـات الأساسـيّة في الحياة الاجتماعيّـة، أو أنّـه أي تغـيّر يطـرأ عـلى جانب معيّن مـن جوانـب الثقافـة الماديّة وغير الماديّـة، سـواء عن طريق الإضافـة أو الحذف، أو تعديل السـمات، أو المركّبات الثقافيّة.

وكثـيرًا مـا تتغـيّر القِيَـم والمعايـير الثقافيّة بمـرور الزمـن، فإن بعض الممارسـات اليـوم عـلى الصعيـد الاجتماعـي الـذي يعـدّ مـن بديهيّـات الثقافـة الشرقيّـة، كالتقبيل والمعانقـة كدلالـة عـلى الحـب والمـودّة القَرابِيّـة، تُعـدُّ في الثقافـة الغربيّـة نوعًـا مـن السـلوكيات الجنسـيّة، يختلـف هـذا المفهـوم باختـلاف الثقافـات. ولكـن يطـرأ التغيّر والتبـدّل عـلى بعـض القِيَـم في المنظومـة الثقافيّـة نفسـها، مثـل العلاقات الجنسـيّة قبل الـزواج وقبـول الـزواج الشـاذّ (المِثـليّ) وغيرهـا، فهـي خارجـة عـن مألـوف القيـم

السائدة حتى في الغرب نفسه سابقًا، أما اليوم فتحوّلت إلى قيمة وتميّز، تتباهى بها الثقافة الغربيّة[1].

يمكن أن يحدث التغيّر الثقافي نتيجة عوامل عديدة، ولكن في الغالب يحدث بفعل الاتّصال بثقافات أُخرى، أو المحدّثات والمخترعات التي تدخل إلى ثقافة معيّنة. وفي الحقيقة عندما تتغيّر الثقافة، يتغيّر المجتمع، لأن الثقافة من صُنع الإنسان، ولهذا كان التغيّر الثقافي عمليّة تفاعل إنساني، ينمّيها الفكر الخلّاق والاختراع. وليس معنى ذلك أن الثقافة من صنع فرد أو جيل معيّن، لأن من أهمّ خصائصها التراكم والدوام والانتشار. وكل ثقافة مهما كان طابعها تخضع لعمليّات التغيّر. وفي المجتمعات الثابتة نسبيًّا، أو المنعزلة عن الجماعات الأخرى، يكون التغيّر بطيئًا جدًّا، بينما يكون التغيّر في المجتمعات الديناميّة سريعًا جدًّا في ميادين كثيرة، مثل التكنولوجيا، والعادات، والاتّجاهات، حتى إن الباحث يمكنه أن يميّز الاختلافات الواضحة بين جيلَيْن يعيشان في العصر نفسه.

ويعبّر مصطلح التغيّر الثقافي عن كل تغيّر يطرأ على المؤثّرات، أو على العناصر الثقافيّة، طالما كان هذا التغيّر يؤثّر على بناء المجتمع موضوع الدراسة، أو على أدائه الوظيفي. وهذا التحديد هو الذي يميّز التغيّر الثقافي، عن التغيّرات السطحيّة أو المحدودة ذات الطبيعة الماديّة أو الشخصيّة، التي لا تؤدّي إلى إحداث تغييرات بنائيّة، وهي تغيّرات كثيرة متجدّدة يصعب حصرها، ولا يمكن أن تحظى بالاهتمام نفسه، الذي نوليه لتيّارات التغيّر الرئيسيّة والكبرى.

ب. التغيّر الثقافي لدى المهاجرين

ينصبّ التغيّر الثقافي على الظواهر التي تتّسم بالترابط فيما بينها، والتأثير المتبادل، أي إن ما يرد من تقسيمات وتصنيفات، إنّما هو بغرض التبسيط والتوضيح. ولا يعني أن تلك الظواهر منفصلة في الواقع على هذا النحو الذي نعرضه بها، وإنّما هي عوامل متشابكة ومترابطة، ويصعب الفصل بينها على صعيد الواقع. ومن هذه الظواهر:

(1) أنتوني غيدنز: **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 83.

- القيم والميول الفكريّة والتصوّرات الدينيّة، وأساليب التربية والتعليم ومؤسّساتها القائمة في المجتمع.
- أساليب السلوك الفنّي (التكنولوجي)، والاقتصادي والكفاية الإنتاجيّة، أساليبها ومستواها.
- أشكال التعبير في الفنون التشكيليّة والموسيقى، والأدب...إلخ.
- مدى العلاقات الاجتماعيّة وكثافتها، والكيانات المترتّبة عليها، وأعداد السّكان وكثافتهم وتوزيعهم[1].

بعض الاستنتاجات

بما أن المفاهيم التي تمّ تناولها في هذا البحث، من صفاتها التبدّل والتغيّر بحسب السيرورة الزمنية، وتتداخل عوامل عديدة في تسبيب هذا التغيّر والتبدّل، فإن ثقافة المهاجرين المسلمين إلى البلاد الغربيّة، التي تختلف جوهريًّا بميادين مختلفة ثقافيًّا وسلوكيًّا، وتخضع ثقافتهم للخصائص التي تتمتّع بها الثقافة بصورة عامّة، فهي مكتسبة من البيئة المحيطة سواء داخل الأسرة أو المحيط الاجتماعي. فكلّما كانت البيئة متشابهة ثقافيًّا ومتجانسة، ويتوفّر لها مؤسّسات ثقافيّة ودينيّة، كانت القدرة على الحفاظ على معالم الثقافة وأصولها، بل ونقلها بالتكسّب إلى الأجيال الناشئة يكون أسهل. وهي ليست وراثيّة، أي تنتقل بالضرورة من الأهل إلى الأبناء بالوراثة وبالجينات البيولوجيّة، وهي منتقلة بالسلوك إلى الأجيال التالية، كما أنها تتأثّر بعوامل التثاقف أو المثاقفة مع الثقافات المحيطة وتحافظ على نفسها، استمرارًا وبقاءً، مع الكثرة المتناسقة. وتزداد قوّتها الداخليّة بالجماعة المسيطرة محليًّا، وترتفع حدّة المقاومة مع الثقافات المحيطة لشعورها بالقوّة الكامنة داخلها وبالتالي تصبح أكثر قابليّة للاندماج الإيجابي والسلس من تلك الحالات التي تعيش حالة من الانعزال أو التماهي مع المحيط بسبب شعورها بالغربة عن ثقافتها الأصليّة، من جهة، وبسبب شعورها وعدم ثقتها بقدرتها على المواجهة في ظل الانفراد والابتعاد

(1) لا اسم: **التغيّر الثقافي**، موقع **موسوعة مقاتل من الصحراء** الإلكتروني، لا ت. شوهد في تاريخ 15/ 2/ 2017، على الرابط:
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/TgherThqaf/sec01.doc_cvt.htm

عـن أفـراد يحملـون نفس ثقافتهـا، من جهـة أخـرى، فتتّجه نحـو التقوقع عـلى الذات وهـي الحالـة التي تُسـمّى بالتهميـش، وإما تنفتـح على الثقافـة المحيطة بحيـث تنصهر فيهـا وتضيـع معـالم ثقافتهـا الأصليّة وهـي حالة التماهـي المطلق مـع المحيط.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المراجع باللغة العربية

1. أمين، عزام: **سيكولوجيا المهاجرين، استراتيجيات الهوية واستراتيجيات التثاقف، دراسة تحليلية نظرية**، وحدة البحوث الاجتماعية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، دمشق، 2016.
2. إنغليز، ديفيد: **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، ترجمة لما ناصيف، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية، بيروت، ط 1، 2013.
3. بلقزيز، عبد الإله: **في البدء كانت الثقافة إفريقيا الشرق**، إفريقيا الشرق للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998.
4. جلبي، علي عبد الرازق: **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، لا ت.
5. الداوي، عبد الرزاق: **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط 1، 2013.
6. السباعي، عبدالناصر: **علم النفس عبر الثقافي**، إصدار شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 27، 2013.
7. السويدي، محمد: **مفاهيم علم الثقافي ومصطلحاته**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1991.
8. عماد، عبد الغني: **سوسيولجيا الثقافة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006.
9. غيدنز، أنتوني: **علم الاجتماع** (مع مدخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2005.
10. كاميلري، جوزيف: **أزمة الحضارة**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983.

11. كـوش، دنيـس: **مفهـوم الثقافـة في العلـوم الاجتماعيـة**، ترجمـة منير السـعيداني، المنظمـة العربيـة للترجمـة، بـيروت، ط1، 2007.

12. مرسي، يحي: **أصول علم الإنسان**، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2000.

13. معتـوق، فريدريـك: **الموسـوعة الميـسّرة في العلـوم الاجتماعيـة**، مكتبـة لبنـان نـاشرون، بـيروت، ط 1، 2012.

14. وطفـة، عـلي أسـعد: **الهويـة الأصوليـة في زمـن التصادم**، مجلـة **المعرفة السـورية**، وزارة الثقافـة في سـوريا، العـدد 557، شـباط 2010، الملف 1062.

ب. مواقع الكترونية

1. فاديـة مصـارع: **مـن جديد.. جـدل حول مفهـوم الثقافـة في العلـوم الاجتماعية**، موقـع صحيفـة **الثـورة** الإلكتروني، نـشر في تاريـخ 16/ 9/ 2009، شـوهد في تاريـخ 12/ 9/ 2004، عـلى الرابط:

http://archive.thawra.sy/_print_veiw.asp?File-Name=85089262020090915213932.

2. لا اسـم: **ادوارد برنت تايلور** (1832–1917)، موقع **أرنتروبوس** الإلكتروني، شـوهد في تاريخ 11/ 9/ 2024، على الرابط:

https://www.aranthropos.com

3. لا اسـم: **التغـيّر الثقـافي**، موقـع **موسـوعة مقاتل مـن الصحراء** الإلكـتروني، لا ت. شـوهد في تاريـخ 15/ 2/ 2017، عـلى الرابـط:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/TgherThqaf/sec01.doc_cvt.htm

ج. المراجع باللغة الأجنبية

1. Tap, P**: Masculin et féminin chez l'enfant**, Privat, Toulouse, 1985.

EUROPUB Publishing Company LTD, UK

CheckInCertificate

CERTIFICATE
OF ACHIEVEMENT

THIS CERTIFICATE IS PROUDLY PRESENTED TO

Sada Al - Oulum

(ISSN: 2959-9423)

has been successfully indexed in **EuroPub Database** in year **2024**, a prestigious repository of scientific literature and research. **"Sada Al - Oulum"** has met the rigorous standards and criteria set forth by EuroPub Database for inclusion in EuroPub database, demonstrating excellence in scholarly content, editorial quality, and relevance to the scientific community.

This indexing acknowledgment is a testament to the dedication and commitment of the editorial board, authors, and contributors of **"Sada Al - Oulum"** to advancing knowledge and innovation in ***Arts, humanities and social sciences***.

This certificate is issued under the cover of EuroPub Publishing Company, Ltd., UK.

Euro Code: 1655739804 **Issue on:** 2024-09-14 **Validity:** 1 Year

Please check it as online with Euro Code: https://cms.europub.co.uk/qr_check

VALID

SIGNATURE

Database: http://europub.co.uk/

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com
البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com
الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات الإلكترونية: ISSN 2959-9431